أول من استعمل القياس هو ابليس

الأعراف ١٢

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ

فــــإن مــــادة الطيــــن فيهــــا :-

١ -الخشـــوع ٢ -و السكـــون ٣ -و الـــرزانة

٤ -وَ الْحِلْـــمُ ٥-وَ الْأَنَـــاةُ ٦-وَ التَّثَبّـــتُ

٧ -الطِّينُ مَحَلُّ النُّمُوِّ وَ الزِّيَادَةِ وَ الْإِصْلَاحِ و البناء

☼ و أمـــا النـــار فيهـــا :-

١ -الخفـــة ٢ -و الطيـــش ٣ -و الإحـــراق ٤ -السُّـــرْعَةُ

و هذا القياس من أفســـد الأقيسة

الأعراف ١٨

(ٱخْرُجْ مِنْهَا)

خروج صغار و احتقار، لا خروج إكرام

بل (مَذْءُومًا)

مذموما((معيبا))

(مَّدْحُورًا)

مُبعدا عن اللّه و عن رحمته و عن كل خير.

(وَطَفِقَا) شرعا فى الفعل و استمرا فيه

(يَخۡصِفَانِ)يلزقان

(عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ)

كهيئة الثوب

(وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ) موبخا لهما

(أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ)

و في هذه الآية دليل على:-

١-أن كشف العورة من عظائم الأمور

٢-و أنه كان و لم يزل مستهجَنًا في الطباع مستقبَحًا فى العقول

(وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا) الأعراف ٢٣

بمحو أثر الذنب و عقوبته،

(وَتَرْحَمْنَا)

بقبول التوبة و المعافاة من أمثال هذه الخطايا.

فغفر اللّه لهما ذلك

الأعراف ٢٦

(يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ)

فاللباس المذكور هاهنا لستر العورات -((مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ)))

(وَرِيشٗاۖ)

هُوَ مَا يُتَجَمَّلُ بِهِ ظَاهِرًا (((مِنَ التَّكَمِّلَاتِ وَ الزِّيَادَاتِ)))


الأعراف ٢٦
(وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ)
الايمـــــان ـــخشيـــة الله-العمـــــل الصالح
(ذَٰلِكَ خَيۡرٌ)
من اللباس الحسي

فإن لباس التقوى يستمر مع العبد و لا يبلى و لا يبيد،

و هو جمال القلب و الروح.

و أما اللبـــــاس الظـــــاهرى فغـــــايته :-

١ –أن يستر العـــــورة الظاهرة،في وقت من الأوقات،

٢ –أو يكون جمـــــالا للإنسان، و ليس وراء ذلك منه نفع.

و أيضا، فبتقدير عدم هذا اللباس:-

تنكشف عورته الظاهرة التي لا يضره كشفها، مع الضرورة،

و أما بتقدير عدم لباس التقوى:-

فإنها تنكشف عورته الباطنة و ينال الخزي و الفضيحة.

(وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ) الأعراف ٣١

و الإســــراف إمـــا :-

١-أن يكون بالزيادة على القدر الكافي و الشره في المأكولات الذي يضر بالجسم

٢-و إما أن يكون بزيادة الترفه و التنوق في المآكل والمشارب و اللباس،

٣-و إما بتجاوز الحلال إلى الحرام.

جَمَعَ اللهُ الطِّبَّ كُلَّهُ فِي نِصْفِ آيَةٍ: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا}

الاعراف ٣٣

(قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ)

أى: الذنوب الكبار التي تستفحش و تستقبح لشناعتها و قبحها و ذلك كـــــالزنـــا و اللـــــواط و نحوهما.

و قوله: (مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ)

أى: الفواحش التي تتعلق بحركات البدن، و التي تتعلق بحركات القلوب كـــــ:-الكبر و العجب و الرياء و النفاق، و نحو ذلك

(قَالَ) الاعراف ٣٨

الله تعالى -لهؤلاء المشركين المفترين

(ٱدۡخُلُواْ فِيٓ)

جملة

(أُمَمٍ)

مِنْ أَشْكَالِكُمْ وَ عَلَى صِفَاتِكُمْ،

(حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا) الاعراف ٤١

اجتمع في النار جميع أهلهـــــــا من:-

[الأوليـــن و الآخـــرين و القـــادة و الـــرؤساء و المقلـــدين الأتبـــاع]

(لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ)

الأعراف ٤١

فراش من تحتهم

(وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٍۚ)

ظلل من العذاب، تغشاهم

اللحف

الأعراف: ٤١

◀ قامَ من مَرَضِهِ لسماعِ آية!

وروى ابن أبي الدنيا من حديث عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال: سمعت عبد الله بن حنظلة يومًا وهو على فراشه وعُدْتُهُ من عِلته، فتلا رجلٌ عنده هذه الآية: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾[٢]؛ فبكى حتى ظننت أن نفسَهُ ستخرجُ، وقال: صاروا بين أطباق النار، ثم قام على رجليه، فقال قائل: يا أبا عبد الرحمن! اقعد، قال: منعني القعودَ ذكرُ جهنم؛ ولَعَلِّي أحدهم[٣].

الاعراف ٤٥

(وَيَبْغُونَهَا)

يريدونها

(عِوَجًا)

منحرفة صادة عن سواء السبيل

(وَعَلَى) هذا الحجاب

الاعراف ٤٥

(رِجَالٌ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا)

من أهل الجنة و النار

(بِسِيمَىٰهُمۡۚ)

علاماتهم، التي بها يعرفون و يميزون

يَعْرِفُونَ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِبَيَاضِ الْوُجُوهِ، وَ أَهْلَ النَّارِ بِسَوَادِ الْوُجُوهِ.

(أَهَٰٓؤُلَآءِ) الأعراف ٤٩

الذين أدخلهم اللّه الجنة

(ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ)

احتقـــارا لهم و ازدراء و إعجـــابا بأنفسكم قد حنثتم في أيمانكم

و بدا لكم من اللّه ما لم يكن لكم في حساب.



عن سمير الرياحي عن أبيه قال: شرب عبد الله بن عُمر ماءً مُبَرَّدًا فبكى فاشتد بكاؤه، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: ذَكَرْتُ آيةً في كتاب الله عز وجل: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [٣]؛ فعرفتُ أن أهل النار لا يشتهون شيئًا شهوتَهُمُ الماءَ، وقد قال الله عز وجل: ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [٤] [٥].

الأعراف ٥٠

(٣) سبأ: ٥٤.

(٤) صفة الصفوة (١ / ٢٩٥)

(٥) الأعراف: ٥٠.

(هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ)

وقوع ما أخبر به كما قال يوسف عليه السلام حين وقعت رؤياه:

﴿هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾ يوسف: ١٠٠

(يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ)

يوم القيامة

(يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا) الاعراف 54

كلما جاء الليل ذهب النهار،

و كلما جاء النهار ذهب الليل،

و هكذا أبدا على الدوام،

حتى يطوي اللّه هذا العالم، و ينتقل العباد إلى دار غير هذه الدار.

(إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ) الاعراف 54

و ما فيهما على عظمهما و سعتهما و إحكامهما و إتقانهما و بديع خلقهما.

(فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ)

أولها يوم الأحد، و آخرها يوم الجمعة

(فَأَمَّا يَوْمُ السَّبْتَ فَلَمْ يَقَعْ فِيهِ خَلْقٌ)وَ مِنْهُ سُمِّيَ السَّبْتُ، وَ هُوَ الْقَطْعُ.

(وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ) الاعراف 56

بعمل المعاصى

(بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا)بالطاعات

فإن المعاصى تفسد الأخلاق و الأعمال و الأرزاق كما قال تعالى:

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ الروم: ٤١

كمـــــا أن الطاعــــــات تصلح بهـــــا:-

[الأخلاق و الأعمال و الأرزاق و أحوال الدنيا و الآخرة]

الأعراف ٥٨

(وَٱلَّذِى خَبُثَ)

من الأراضي

(لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ)

نباتا خاسا لا نفع فيه و لا بركة.

الأعراف ٨٥

(وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ)

طريق من الطرق التي يكثر سلوكها، تحذرون الناس منها

يَنْهَاهُمْ شُعَيْبٌ عليه السلام عَنْ قَطْعِ الطَّرِيقِ:-

١- الْحِسِّـــيِّ

٢-وَ الْمَعْنَـــوِيِّ

و (تُوعِدُونَ)

من سلكها بِالْقَتْلِ إِنْ لَمْ يُعْطُوكُمْ أَمْوَالَهُمْ


الأعراف ٨٥
﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ۚ﴾
و أن لا يعثوا في الأرض مفسدين، بالإكثار من عمل المعاصى

الأعراف ٩١

(فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ)

أَصابَهُمْ عذابُ يوْم الظُّلَّة وَ قَدِ اجْتمَعَ علَيْهِمْ ذَلِكَ كُلُّهُ:

١-أَصَابَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ {فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ عَظِيمٍ} [الشُّعَرَاءِ:١٨٩]

وَ هِيَ سَحَابَةٌ أَظَلَّتْهُمْ فِيهَا شَرَرٌ مِنْ نَارِ ولَهَب و وهَج عَظِيم،

٢-ثُمَّ جاءَتْهُمْ صَيْحَةٌ مِنَ السَّمَاءِ{وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ }[هُودٍ:٩٤]

٣-وَ رَجْفَةٌ مِنَ الْأَرْضِ شَدِيدَةٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ

(ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَاۚ) الأعراف ٩٢

أي: كأنهم ما أقاموا في ديارهم

و كأنهم ما تمتعوا في عرصاتها،

و لا تفيئوا في ظلالها،

و لا غنوا في مسارح أنهارها،

و لا أكلوا من ثمار أشجارها

(وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ)

يدعوهم إلى عبادة اللّه، و ينهاهم عن ما هم فيه من الشر

فلم ينقادوا له: (إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا)إلا ابتلاهم الله

(بِٱلۡبَأۡسَآءِ)

بالفقر و الحاجة

(وَٱلضَّرَّآءِ)

المرض و أنواع البلايا

(لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ)

رجاء أن يستكينوا و ينيبوا إلى الله و يرجعوا إلى الحق.

(ثُمَّ) الأعراف ٩٥

إذا لم يفد فيهم و استمر استكبارهم و ازداد طغيانهم.

فقلب عليهم الحال ليختبرهم فيه

(بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ)

فأدَرَّ عليهم الأرزاق و عافى أبدانهم و رفع عنهم البلاء

(حَتَّىٰ عَفَوا)

كثروا و كثرت أرزاقهم و انبسطوا في نعمة اللّه و فضله،

(وَقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ)

أى:هذه عادة جارية لم تزل موجودة في الأولين و اللاحقين،

تارة يكونون فى: سراء و تارة في ضراء و تارة في فرح و مرة في ترح

على حسب تقلبات الزمان و تداول الأيام،

و حسبوا [أنها ليست للموعظة و التذكير] و [لا للاستدراج و النكير]

حتى إذا اغتبطوا و فرحوا بما أوتوا و كانت الدنيا أسر ما كانت إليهم

(فَأَخَذْنَٰهُم) بالعذاب (بَغْتَةً)فجأة(وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)

لا يخطر لهم الهلاك على بال

الأعراف ٩٦

(وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ)

لو آمنوا بقلوبهم إيمانا صادقا صدقته الأعمال

(وَٱتَّقَوۡاْ)

و استعملوا تقوى اللّه تعالى ظاهرا و باطنا بترك جميع ما حرم اللّه

(لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ)

لفتح عليهم بركات السماء و الأرض فأرسل السماء عليهم مدرارا

و أنبت لهم من الأرض ما به يعيشون و تعيش بهائمهم

﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ
وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ الأعراف: ٩٦

لماذا قال الله (لَفَتَحْنَا) و لم يقل (لأوجدنا) أو (لخلقنا)؟؟؟؟

فيه دلالة أن الخيرات موجودة و لكن أغْلق عليها و السبب؟

﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ
لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ الروم: ٤١

و في حديث النواس بن سمعان في مسلم٢٩٣٧
ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَ رُدِّي بَرَكَتَكِ

(وَلَٰكِن كَذَّبُواْ) الأعراف ٩٦

و لكنهم لم يؤمنوا و يتقوا

(فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ)

بالعقوبات و البلايا و نزع البركات و كثرة الآفات

و هي بعض جزاء أعمالهم،

و إلا فلو آخذهم بجميع ما كسبوا ما ترك عليها من دابة.

ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ

الروم: ٤١

الأعراف ١٢٦

(رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ)

أفض (عُمَّنَا)

(عَلَيۡنَا)

بِالصَّبْرِ عَلَى دِينِكَ وَ الثَّبَاتِ عَلَيْهِ

(صَبۡرٗا)

عظيما ((كما يدل عليه التنكير)):-لأن هذه محنة عظيمة تؤدي إلى ذهاب النفس

فيحتاج فيها من الصبر إلى شيء كثير لـــــــــ:-

١-يثبت الفؤاد٢-و يطمئن المؤمن على إيمانه٢- و يزول عنه الانزعاج الكثير.

(وَمَا تَنقِمُ) لأعراف ١٢٦

و ما تعيب

(مِنَّآ)

على إنكارك علينا و توعدك لنا ؟ فليس لنا ذنب

(إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ)

فإن كان هذا ذنبا يعاب عليه و يستحق صاحبه العقوبة فهو ذنبنا.

الأعراف ١٢٨

فـــــ(قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ)

موصيا لهم في هذه الحالة، – التي لا يقدرون معها على شيء و لا مقاومة – بالمقاومة الإلهية، و الاستعانة الربانية:

(ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ)

أي: اعتمدوا عليه في جلب ما ينفعكم، و دفع ما يضركم، و ثقوا بالله ، أنه سيتم أمركم

(إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ) الأعراف ١٢٨

ليست لفرعون و لا لقومه حتى يتحكموا فيها

(يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ)

أي: يداولها بين الناس على حسب مشيئته و حكمته،

لكن (وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)

فإنهم – و إن امتحنوا مدة ابتلاء من اللّه و حكمة، فإن النصر لهم

◄ ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟﴾(١)

أحد الدعاة في مصر يتحدث عن قصة اعتقاله فيقول: لما دخلنا سجن القلعة وكان تحت الأرض، أُدخلنا إلى زنازينَ انفرادية، وكانت أصواتُ المعذَّبين وأنَّاتُهم تتعالى حولنا ليلا ونهارًا، وكانت الزنزانة مليئةً بالماء قيد شبرٍ ونصف، وكنا في زمهرير الشتاء، فلا مجال للنوم من أصوات التعذيب، ولا من الماء الذي يغمر أرجلنا، فكانت محنة شديدة، وما كان يخفف عنا إلا ذكر الله، وبقيةٌ من إيمانٍ أشربناه في أيام الرخاء النسبي التي سبقت اعتقالنا.

وفي ليلة من الليالي وقد اشتدت عليَّ المحنة، وضاقت الزنزانة ضيقًا على ضيق؛ رأيتُ فيما يرى النائم – وهو حلم بيقظة – أنْ قد دخل عليَّ أحد الصالحين الذين أعرفهم، فاستبشرت برؤيته خيرًا، فسلَّمَ وسألني هل تحفظ سورة الأعراف، قلت: نعم، قال اقرأ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾(٢)، فلما قرأتُها – كأنما أنزلت لتوها وكأني لم أقرأها من قبلُ – ثبت الله بها قلبي، وسكَّن فؤادي، وحلَّتْ عليَّ رحمات كأنما أنام في بيتي

(١) الأعراف: ١٢٨.

(٢) الأعراف: ١٢٧-١٢٩.

على فراشي، فعجبتُ من أثرها، وصرتُ بعدها أقرؤها على إخواني كلما رأيت من أحدهم ضعفًا أو استسلامًا، والحمد لله الذي أحيانا بعد هذه المحنة وسلَّمنا.

الأعراف ١٣١

﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ ﴾

أى: قحط و جدب

﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ ﴾

أى يقولوا: إنما جاءنا بسبب مجيء موسى، و اتباع بني إسرائيل له.

قال اللّه تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ ﴾

أي: بقضائه و قدرته، ليس كما قالوا،

بل إن ذنوبهم و كفرهم هو السبب في ذلك،

(وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ) الأعراف ١٣٧

في الأرض أى: بني إسرائيل الذين كانوا خدمة لآل فرعون

يسومونهم سوء العذاب أورثهم اللّه

(مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا)

***الشام

و المراد بالأرض هاهنا، أرض مصر، التي كانوا فيها مستضعفين، أذلين، أي:

ملكهم اللّه جميعا، و مكنهم فيها

الأعراف ١٣٧

(وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ)

أيها الرسول

(ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ)

بالتمكين لهم في الأرض

(بِمَا صَبَرُواْۖ)

بسبب صبرهم على أذى فرعون و قومه

الأعراف ١٣٩

(إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ)

هالك

(مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)

من عبادتهم لتلك الأصنام لأن دعاءهم إياها باطل

و هي باطلة بنفسها، فالعمل باطل و غايته باطلة.

لأعراف ١٤٣

﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ ﴾

و الافاقة لا تكون الا من غَشْي

○استغفر ربه لما صدر منه من السؤال الذي لم يوافق موضعا

و لذلك ﴿قَالَ سُبۡحَٰنَكَ ﴾

أي: تنزيها لك و تعظيما عما لا يليق بجلالك

﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ ﴾

من جميع الذنوب، و سوء الأدب معك

لأعراف ١٤٣

(فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ)

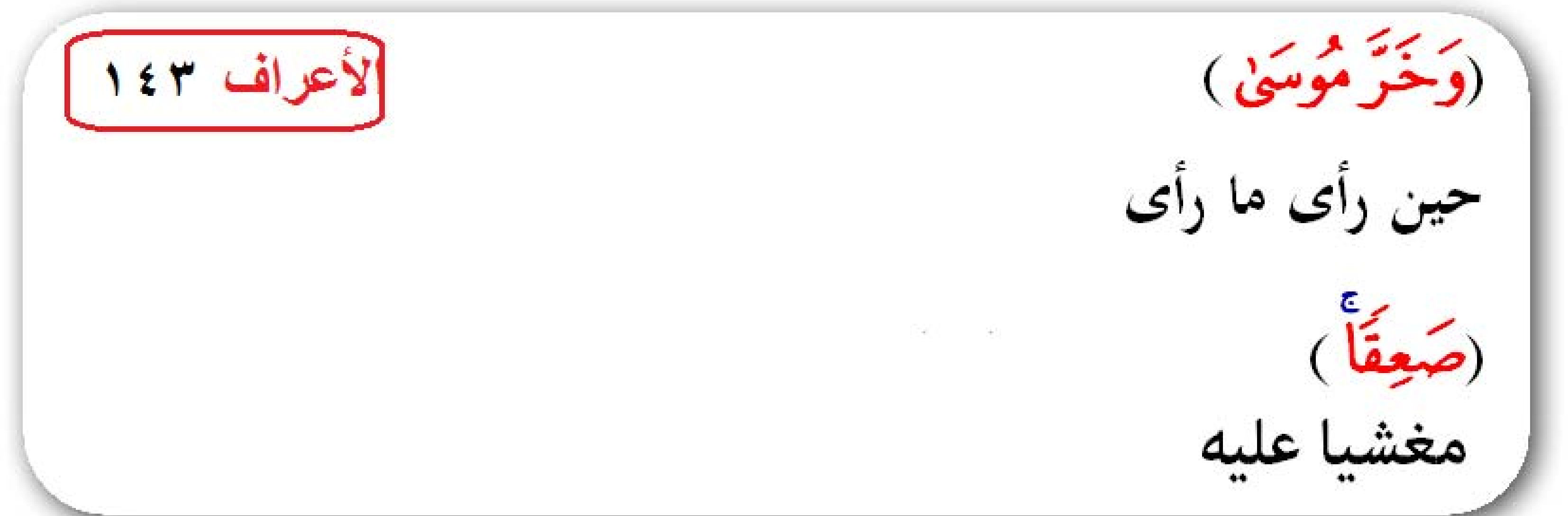
عَنْ أَنسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: " قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ

{فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا} [الأعراف: ١٤٣]

قَالَ حَمَّادٌ: هَكَذَا وَ أَمْسَكَ سُلَيْمَانُ بِطَرَفِ إِبْهَامِهِ عَلَى أَنْمُلَةِ إِصْبَعِهِ الْيُمْنَى

قَالَ: فَسَاخَ الجَبَلُ {وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا} [الأعراف: ١٤٣]

٣٠٧٤ سنن الترمذي


(وَخَرَّ مُوسَىٰ)
الأعراف ١٤٣
حين رأى ما رأى
(صَعِقًاۚ)
مغشيا عليه

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ الأعراف ١٥٠

ممتلئا غضبا و غيظا عليهم لتمام غيرته عليه الصلاة و السلام و كمال نصحه و شفقته

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ "الْأَسَفُ": أَشَدُّ الْغَضَبِ.

الأعراف ١٥٥

(قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ)

فقام موسى يتضرع إلى الله و يقول:

رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتُهم و قد أهلكتَ خيارهم؟

لو شئت أهلكتهم جميعًا من قبل هذا الحال و أنا معهم فإن ذلك أخف عليَّ

(أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ)

ضعفاء العقول سفهاء الأحلام

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾ الأعراف ١٥٧

من المطاعم و المشارب و المناكح و الأقوال و الأفعال.

كَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ وَ الرِّبَا

وَ مَا كَانُوا يَسْتَحِلُّونَهُ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ مِنَ الْمَآكِلِ الَّتِي حَرَّمَهَا اللَّهُ تَعَالَى.

(وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ) الأعراف ١٥٧

و يحط عنهم تبعة العهد الذي أخذ عليهم بالعمل في التوراة و الإنجيل بأن يعملوا بكل ما جاء فيهما

الأعراف ١٥٧

﴿وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾

الشدائد المفروض عليهم القيام بها و يذهب عنهم ما كُلِّفوه من الأمور الشاقة:-

١-كقطع موضع النجاسة من الثوب

٢-و إحراق الغنائم

٣-و القصاص حتمًا من القاتل عمدًا كان القتل أم خطأ(إذ لا عفو و لا دية)

الأعراف ١٦٣

﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا ﴾

كثيرة طافية على وجه البحر. ظاهرة على الماء

(وَسۡـَٔلۡهُمۡ) الأعراف ١٦٣

أي: اسأل بني إسرائيل

(عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ)

و هى على شاطئ بحر القلزم

عن عِكْرِمَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ قال: جئتُ ابن عباسٍ يوما وهو يبكي، وإذا المصحف في حِجْرِهِ فأعظمتُ أن أدنو منه، ثُم لم أزل على ذلك حتى تقدمتُ فجلستُ، فقلتُ: ما يبكيكَ يا ابن عباس جعلني الله فِدَاكَ؟ فقال: هؤلاء الوَرَقَات، قال: وإذا هو في سورة الأعراف، وذَكَرَ أصحاب السَّبْتِ[٤]، ثم قرأ ابن عباس «فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس»، قال: فأرى الذين نَهَوْا قد نَجَوْا، ولا أرى الآخرينَ ذُكِرُوا، ونحن نرى أشياءَ ننكرها ولا نقول فيها. قال: قلت: جعلني الله فداك؛ ألا ترى أنهم قد كَرِهُوا ما هم عليه

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج٤.

(٢) البقرة: ٢٨٤.

(٣) صفة الصفوة لابن الجوزي (١ - ٢٩٤)

(٤) يعني قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ (الأعراف: ١٦٣).

وخالفوهم وقالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ ﴾[١]، قال: فأمر لي فكُسِيتُ ثوبين غليظين[٢].

(قَالُواْ) الأعراف ١٦٤

فقال الواعظون((***المُنْكِرة))): نعظهم و ننهاهم

(مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ)

أي: لنعذر فيهم.

فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ

(وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)

أي: يتركون ما هم فيه من المعصية، فلا نيأس من هدايتهم،

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ
قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ أَنَّهُمْ صَارُوا إِلَى ثَلَاث فِرَق:

١-فِرْقَةٌ ارْتَكَبَتِ الْمَحْذُورَ وَ احْتَالُوا عَلَى اصْطِيَادِ السَّمَكِ يَوْمَ السَّبْتِ

٢-وَ فِرْقَةٌ نَهتْ عَنْ ذَلِكَ، وَ أَنْكَرتْ وَ اعْتَزَلَتْهُمْ.

٣-وَ فِرْقَةٌ سَكَتَتْ فَلَمْ تَفْعَلْ وَ لَمْ تَنْهَ

(فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ) الأعراف ١٦٩

حتى خلف من بعدهم خلف. (((زاد شرهم)))

(وَرِثُواْ)بعدهم (دراسة)

(ٱلۡكِتَٰبَ)التوراة

و صار المرجع فيه إليهم، و صاروا يتصرفون فيه بأهوائهم

و تبذل لهم الأموال ليفتوا و يحكموا بغير الحق و فشت فيهم الرشوة.

(وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ) الأعراف ١٦٩

و لكنهم – إذا أتاهم عرض آخر، و رشوة أخرى – يأخذوه.

فاشتروا بآيات اللّه ثمنا قليلا و استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير،

لَا يَشْغَلُهُمْ شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ، وَ لَا يَنْهَاهُمْ شَيْءٌ عَنْ ذَلِكَ،

(يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ)

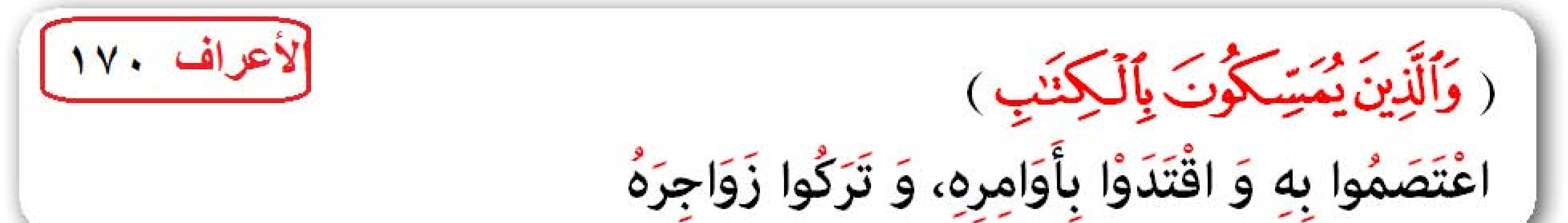
يَعْتَاضُونَ عَنْ بذل الحق و نشره بعَرَض الحياة الدنيا
و يسرفون أَنْفُسَهُمْ وَ يَعِدُونَهَا بِالتَّوْبَةِ
وَ كُلَّمَا لَاحَ لَهُمْ مِثْلُ الْأَوَّلِ وَقَعُوا فِيهِ
***تَمَنَّوْا عَلَى اللهِ أَمَانِيَّ و غرَّة يَغْتَرُّونَ بِهَا

(وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا)

مقرين بأنه ذنب و أنهم ظلمة:- و هذا قول خال من الحقيقة،

فإنه ليس استغفارا و طلبا للمغفرة على الحقيقة.

فلو كان ذلك لندموا على ما فعلوا، و عزموا على أن لا يعودوا،



﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ ﴾ الأعراف ١٧٠

اعْتَصَمُوا بِهِ وَ اقْتَدَوْا بِأَوَامِرِهِ، وَ تَرَكُوا زَوَاجِرَهُ

الأعراف ١٧٥

﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾

أي:ــتسلط عليه حين خرج من الحصن الحصين، و صار إلى أسفل سافلين، فـــــأزه إلى المعاصي أزا.

الأعراف ١٧٥

(فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا)

أي: انسلخ من الاتصاف الحقيقي بالعلم بآيات اللّه،

الأعراف ١٧٥

يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾

أي: علمناه كتاب اللّه، فصار العالم الكبير و الحبر النحرير.

الأعراف ١٧٥

فلهذا قال تعالى: (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا)

بأن نوفقه للعمل بها، فيرتفع في الدنيا و الآخرة، فيتحصن من أعدائه.

الأعراف ١٧٧

(سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ)

***يقُولُ تعَالَى سَاءَ مَثَلًا مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا، أَيْ:-

سَاءَ مَثَلُهُمْ أَنْ شُبِّهُوا بِالْكِلَابِ الَّتِي لَا هِمَّةَ لَهَا إِلَّا فِي تَحْصِيلِ أَكْلَةٍ أَوْ شَهْوَةٍ

فَمَنْ خَرَجَ عَنْ حَيِّزِ الْعِلْمِ وَ الْهُدَى وَ أَقْبَلَ عَلَى شَهْوَةِ نَفْسِهِ وَ اتَّبَعْ هَوَاهُ:-

صَارَ شَبِيهًا بِالْكَلْبِ وَ بِئْسَ الْمَثَلُ مَثَلُهُ

(يَهۡدُونَ)

أنفسهم و غيرهم

(بِٱلۡحَقِّ)

فيعلمون الحق و يعملون به، و يعلِّمونه، و يدعون إليه و إلى العمل به.

(وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ)

بين الناس في أحكامهم إذا حكموا في:-

[الأموال و الدماء و الحقوق و المقالات، و غير ذلك]

الأعراف ١٨٧

﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَاۖ﴾

كأنك عالم بها

هم حريصون على سؤالك عن الساعة كأنك مستحف عن السؤال عنها

وهذا عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتعايش مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (٦)، فقد قيل له وهو على فراش الموت: هؤلاء بنوك - وكانوا اثني عشر - ألا توصي لهم بشيء فإنهم فقراء؟! فقال: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ، والله لا أعطيهم حقَّ أحدٍ، وهم بين رجلين: إما صالح؛ فالله يتولى الصالحين، وإما غير صالح؛ فما كنتُ لأُعِينَهُ على فِسْقِهِ، ولا أبالي في أيِّ وادٍ هلك، ولا أدعُ له ما يستعين به على معصية الله فأكونُ شريكَه فيما يعمل بعد الموت، ثم استدعى أولادَه فودَّعهم وعزَّاهم وأوصاهم بهذا الكلام ثم قال: انصرفوا عصمَكم الله وأحسنَ الخلافة عليكم.

قالوا: فلقد رأينا بعض أولاد عمر بن عبد العزيز يَحملُ على ثمانينَ فرسًا في سبيل الله، وكان بعض أولاد سليمانَ بن عبد الملكِ مع كثرةِ ما تركَ لهم من الأموال؛ يتعاطى ويسألُ من أولاد عمر بن عبد العزيز، لأن عمرَ وَكَلَ ولدَهُ إلى الله عز وجل، وسليمانُ وغيرُه إنما يَكِلونَ أولادهم إلى ما يَدَعُونَ لهم من الإرث؛ فَيَضِيعُونَ وتذهبُ أموالُهم في شهوات أولادهم!. لقد عمل عمر بن عبد العزيز في حقّ أبنائه بمضمون الآية الكريمة؛ فعصمَهُم الله سبحانه، وضَمِنَ لهم خير الدنيا والآخرة!

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾

- فالذي ينبغي أن يعامل به الناس، أن يأخذ العفو، أي:-

ما سمحت به أنفسهم، و ما سهل عليهم من الأعمال و الأخلاق

فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم،

بـــــــل:-

١-يشكر من كل أحد ما قابله به من قول و فعل جميل أو ما هو دون ذلك،

٢-و يتجاوز عن تقصيرهم و يغض طرفه عن نقصهم،

٣-و لا يتكبر على الصغير لصغره و لا ناقص العقل لنقصه و لا الفقير لفقره

٤-بل يعامل الجميع باللطف و المقابلة بمـــــا :-

تقتضيه الحال و تنشرح له صدورهم.

***صحيح البخاري

٤٦٤٣ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه {خُذِ العَفْوَ وَ أْمُرْ بِالعُرْفِ} [الأعراف: ١٩٩]

قَالَ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا فِي أَخْلَاقِ النَّاسِ»

(وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ)

أي: بكل قول حسن و فعل جميل، و خلق كامل للقريب و البعيد

فاجعل ما يأتي إلى الناس منك

إما تعليم علم

أو حث على خير، من صلة رحم،

أو بِرِّ والدين

أو إصلاح بين الناس

أو نصيحة نافعة أو رأي مصيب

أو معاونة على بر وتقوى أو زجر عن قبيح

أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية

◀ كان عمر رضي الله عنه وقَّافًا عند كتاب الله

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بنُ حِصْن بن حذيفة بن بدر فنزلَ على ابن أخيهِ الحُرِّ بن قَيْس بن حِصْن، وكان من النفر الذين يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وكان القُرَّاءُ أصحابَ مجلسِ عمر ومشاورتِه؛ كُهُولاً كانوا أو شُبَّانًا، فقالَ عُيَيْنَةُ لابنِ أخيه: يا ابن أخي؛ هل لكَ وجهٌ عندَ هذا الأميرِ فتستأذنَ لي عليه؟ قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذنَ لعُيينةَ؛ فلما دخل قال: يا ابن الخطاب؛ والله ما تعطينا الجَزْل، ولا تحكمُ بيننا بالعَدْل! فغضبَ عمرُ حتى هَمَّ بأن يَقَعَ بِهِ، فقال الحرُّ: يا أميرَ المؤمنينَ؛ إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾[٢]، وإن هذا من الجاهلين، فوالله ما جاوزها عُمَرُ حين تلاها عليه، وكان وَقَّافًا عند كتابِ الله[٣].

لأعراف ١٩٩

(وَإِمَّا)

أي وقت، و فى أي حال

(يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ)

أي: تحس منه بوسوسة و تثبيط عن الخير أو حث على الشر و إيعاز إليه.

وَ إِمَّا يُغْضِبَنَّك مِنَ الشَّيْطَانِ غَضَبٌ يَصُدُّكَ عَنِ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْجَاهِلِينَ وَ يَحْمِلُكَ عَلَى مُجَازَاتِهِمْ

(فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ)

فَاسْتَجِرْ بِاللهِ مِنْ نَزْغِهِ

(إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ)

المتقي إذا أحس بذنب، و مسه طائف من الشيطان،

فـــــــــــ:-

١-أذنـــــب بفعل محرم ٢-أو تـــــــرك واجب

(تَذَكَّرُواْ)

تذكر من أي باب أُتيَ و من أي مدخل دخل الشيطان عليه

و تذكر ما أوجب اللّه عليه، و ما عليه من لوازم الإيمان،

(فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ)فأبصر و استغفر اللّه تعالى،

(وَإِخۡوَٰنُهُمۡ)

و أما إخوان الشياطين و أولياؤهم

وَ هُمْ أَتْبَاعُهُمْ وَ الْمُسْتَمِعُونَ لَهُمُ الْقَابِلُونَ لِأَوَامِرِهِمْ

(يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ)

فإنهم إذا وقعوا في الذنوب، لا يزالون يمدونهم في الغي ذنبا بعد ذنب،